مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاتحاد

التاريخ: ٢٠٠١/٦/٢٨

أعشق هيكل ولا أحب السادات

«السادات ليس سينا على طول الخط، وهيكل ليس نبيا». وعلى طريقة المطرب الشعبي دانع الصيت شعبان عبدالرحيم. أقول من البداية «إنني أعشق هيكل، لكنني لا أحب السادات» ورغم ذلك فإنني منذ زمن أحاول تعويد نفسي على التزام الموضوعية قدر الامكان مع الاعتراف بأنه لا يوجد بيننا من هو موضوعي مئة في المئة، كلنا منحازون بشكل او بآخر لقناعات وافكار ورؤى وايدلوجيات متنوعة.

من هنا المنطلق فعندما يكون الحديث عن شخصيتين مثل السادات وهيكل، فلا يستطيع المرء أن يضع قناعاته السابقة جانبا. ورغم ذلك سأحاول أن أناقش بموضوعية ما كتبه الزميل أيمن شرف في عددي الاتحاد يومي ٧ و٨ يونيو الماضيين، تحت عنوان «هيكل يرد الاعتبار للسادات بعد ربع قرن».

قبل الولوج للمكتوب فإن ما أثار ارتباكي هو العنوان نفسه. فقد فتشت كثيرا في ثنايا الموضوع عما يدل على رد هيكل الاعتبار للسادات. فلم أجد شيئا ذا جدوى. فقد اعتمد الكاتب على ملاحظة هيكل خلال محاضرته بالاسكندرية قبل حوالي عام. والغريب أن الكاتب نفسه يقول بالنص «لم يستطع أحد أن يجزم بأن هيكل قدم اعتذارا للسادات».. وما ينسف فكرة حكاية الاعتذار التي روج لها كثيرون يختلفون مع هيكل - ولهم كل الحق في ذلك- أن هيكل نفسه ومنذ حوالي الأسبوع أوضح الأمر خلال حوار مع جريدة الاسبوع القاهرية نشرته ايضا صحيفة «الخليج». حينما كان يتحدث عن كامب ديفيد الاولى وقال في سياق انتقاده للآثار الكارثية لهذه المعاهدة ان القضية لم تعد إدانة السادات من عدمها .. القضية أصبحت هي الآثار التي خلفتها هذه المعاهدة على مجمل الوضع العربي. هيكل أراد القول في هذا الحوار الأخير أنه لا يريد التحدث عن الاشخاص بل السياسات ونتائجها واشاد الرجل بانتصار اكتوبر وهو احد امجاد السادات بالفعل، لكنه اختلف معه حول استثمار هذا الانتصار.

وبالطبع فأنا لست اعقب هنا دفاعاً عن هيكل رغم حبي الشديد له، لانه الأقدر على توضيح وجهة نظره، لكن عنوان المقالين اصابني بالحيرة أيضا، فإذا كان الكاتب لم يوضح كيف رد هيكل الاعتبار للسادات، وراح يعدد الانتقادات لهيكل مقابل انصاف الرئيس الراحل، فإن الأمر بدا لي كما لو أن الكاتب نفسه يريد رد الاعتبار للسادات وادانة هيكل، وبالطبع فهذا من حقه طالما أنه يؤمن بذلك لكن شرط أن يكون واضحا ولا يلجأ إلى اللعب على الصياغات اللفظية وهي التهمة نفسها التي يرمى بها الكاتب هيكل.

أعود لأؤكد مرة أخرى على فكرة أن هيكل ليس معصوما من الخطأ وبالتالي فكلماته وأفكاره ليست مقدسة، لكن شرط أن نناقشها بموضوعية، وعلى المستوى الشخصي فلم استطع حتى الآن - رغم حبي الشديد للرجل انطلاقا من حبي لعبدالناصر ثم لأسلوب هيكل الصحفي- كيف يمكن لهذا الرجل بكل قناعاته أن يساعد السادات في انقلاب مايو ١٩٧١؟!

يعترض الكاتب بشدة على تركيز هيكل على تشريح شخص السادات في كتاب «خريف الغضب». ولا أعرف كيف يمكن لكاتب التطرق لسيرة رجل عام بدون فهم نشأة وتطور هذا الرجل العام وكيفية تأثيرها على شخصيته لاحقا. اتفق مع الكاتب في الاعتراض على الإساءة لأي شخص على أساس لونه أو جنسه أو دينه، لكن ذلك لا يمنع من مناقشة تأثير هذه الصفات على تفكير هذا الرجل العام، واذكر الكاتب بأن الأميركيين اخذوا الكثير من السادات وغيره من حكام العالم الثالث عبر غلاف على «التايم أو النيوزويك» باعتباره «أشيك رجل في العالم». وهو الدور الذي تمارسه بمهارة الآن شبكة الـ«سي.أن.أن».

كيفية اتخاذه للقرار، واذا كان هذا الشخص رجلا عاما تؤثر قراراته على شعب أو أمة بأكملها، فمن حقنا التعرض له وتشريحه.

ثم إن هيكل ليس نبيا لكي يكون محايدا كاملا وهو يكتب عن السادات في خريف الغضب، واتفق معك تماما أن وجوده في السجن في خريف ١٩٨١ لعب دورا ما ولو بشكل غير مباشر في ثنايا وأجواء الكتاب، لكن السؤال الرئيسي هل غير هيكل من هذه القناعات فيما بعد، مبلغ علمي هو لا.. وبالتالي فالقضية هنا ليست، هل أراد هيكل الثأر من السادات أم لا؟ المهم ما هي أدلة الاتهام التي وجهها إليه؟ ومبلغ علمي أيضا أن غالبية المصريين -ولا أقول كلهم- وتقريبا غالبية العرب مازالت تتفق مع رؤية هيكل للسادات، ليس لأن هيكل هو قائلها، ولكن ببساطة لأن ما فعله السادات كان خطأ جسيما في حق الأمن القومي المصري والعربي، ذلك هو جوهر الأمر الذي لم يفهمه كثيرون وعبر عن هؤلاء الكثيرين أنيس منصور ذات مرة حينما قال «كيف فهي تنفذ احيانا ما تعجز عنه الدبلوماسية الأميركية. ما أريد قوله إن الصفات الشخصية لأي فرد تلعب دورا مهما في لهؤلاء -يقصد معارضة السادات- ان يهاجموا الرجل الذي حقق انتصار اكتوبر ويمجدوا الرجل المسؤول عن نكسة ٦٧؟!

اعرف أن الكاتب بحكم زمالتنا المهنية من القاهرة حتى أبوظبي مرورا بدبي ربما لا يعجب بهيكل كثيرا، وأكرر أن هذا من حقه، فليست هناك تعاليم دينية تفرض عليه ذلك؟!! وقضيتنا هنا ليست حب أو كراهية هذا أو ذاك، بل نحن نتحدث عن سياسات ورؤى يتصادف أحيانا أن أشخاصا بعينهم يمثلونها. وبالتالي فإن السادات حينما نفذ «وقفته مع الصديق السوفييتي» الذي أمدنا بالسلاح والخبرة والسد العالي والمصانع الضخمة، جعلنا نرتمي في أحضان الصديق الأميركي التي لا يعرف الرومانسية أو مجرد التظاهر بها، هذه الاحضان قذفتنا بقوة في الاحضان الصهيونية المسمومة.

قد يقول قائل إن السادات أعاد سيناء لمصر التي قدمت الكثير للقضية الفلسطينية. لكن مشكلة هؤلاء أن بعضهم لا يدرك حتى الآن أن الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية ليس نابعا فقط من الاحساس بالانتماء القومي العربي وهو حق، ولكن وهذا هو الأساس من الايمان بأن الدفاع عن مصر ككيان قطري يبدأ وينتهي من فلسطين اضافة لدوائر أخرى لكنها ليست في حجم الخطر الصهيوني.

لم يكن عبدالناصر يشعر بقوميته بحق إلا عندما حارب في فلسطين عام ١٩٤٨. ويذكر الكثيرون أن الرئيس مبارك بدأ فترة حكمه الأولى مركزا على الجبهة الداخلية.. في ظل دعوات كثيرة وقتها عن فرعونية مصر أو متوسطيتها والدعوات المتعددة للخروج من المحيط العربي وهمومه الثقيلة.

انتهى الأمر بالنظام المصري إلى أن يرمي بكل ثقله خلف القضية الفلسطينية- وأنا هنا لا أناقش مدى فعالية هذا الدور وهل يستغل كل أوراقه جيدا أم لا - ما أريد قوله أن أي نظام مصري منذ عهد محمد علي وحتى تقوم الساعة محكوم عليه بالانتماء للدائرة العربية والدفاع عنها وقيادتها وأي محاولة عكسية محكوم عليها بالفشل، ذلك ما حدث من السادات على حد علمي، اعتقد أن أميركا قد تعوضه عن العرب، فخسر الاثنين في النهاية.

وعلى حد علمي فذلك هو الخلاف الحقيقي بين السادات وهيكل بل بين السادات وكل معارضيه، وبالتالي فالقضية ليست مجرد «خناقة» شخصية تنتهي باعتذار أحد للآخر لأنها تتعلق ببلد كبير اسمه مصر وأمة كبرى هي الأمة العربية وما فعله السادات وآخرون، مازلنا ندفع ثمنه حتى الآن.

عماد حسين